مجلة الاجتهاد القضائي: المجلد 13 – عدد خاص (العدد التسلسلي 25) جانفي 2021 (ص ص: 677 – 690)
مخبر أثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع - جامعة محمد خيضر بسكرة

الهجرة غير الشرعية من دول شمال افريقيا الى اوروبا

في ظل ازمة كوفيد -19- قراءة في الواقع التحديات والانعكاسات

Illegal immigration from North African countries to Europe in light of the Coffed Crisis -19- in fact reading the challenges and repercussions

د. زوليخة زوزو [1]

أستاذ محاضر "ب" - كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة عباس لغرور- خنشلة (الجزائر)

Nouarazouzou@gmail.com

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر
01 سبتمبر 2020	07 جانفي 2021	15 جانفي 2021

الملخص:

الهجرة غير الشرعية ظاهرة عالمية منتشرة وموجودة في جميع دول العالم لا تخلو دولة من اثارها وانعكاساتها، اذ شهدت في الاونة الاخيرة انتشارا واسعا حتى في ظل ظهور فيروس كورونا -كوفيد 19- وأصبحت تهدد المجتمعات لحجم المخاطر التي تسببها، لذا تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على واقع هذه الظاهرة واسباب انتشارها وتداعياتها على امن واستقرار الدول المستقبلة وحتى دول العبور؛ خاصة وأنه برزت في الاونة الأخيرة هذه الظاهرة بصورة اكبر من دول شمال افريقيا إلى دول اوروبا، ما أدى إلى ظهور العديد من المواقف للدول المستقبلة سواء التي خرج منها المهاجرون أو تلك الدول التي استقبلتهم خوفا من انتشار اكبر للوباء، اضافة لضرورة للتطرق الى الاجراءات التي اتخذتها الجزائر للحد من خطورة الهجرة غير الشرعية في هذه الازمة، لنصل الى اهم الجهود الاقليمية والدولية المبذولة للحد من توسع الظاهرة، والسبل المتبعة للحد من تدفق المهاجرين غير الشرعيين في ظل ازمة وباء كورونا المستجد.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية، تداعيات الهجرة، دول العبور، الدول المستقبلة، كوفيد- 19.

Abstract :

Illegal migration is a widespread global phenomenon and present in all countries of the world and no country escapes its effects and fallout, as it has recently experienced a great amplification despite the emergence of the Coronavirus - Covid 19 - and has become a threat to societies because of the scale of the risks it entails. This study therefore aims to shed light on the reality of this phenomenon, the reasons for its spread and its repercussions on the security and stability of host countries and even transit countries; especially since this phenomenon has increased more recently from North African countries to European countries, this has led to the occurrence of numerous reactions from different countries, whether they are of immigrant origin or from the countries which have welcomed them for fear of a farther spread of the epidemic, in addition to the need to address the measures taken by Algeria to reduce the risk of illegal immigration in this crisis, leading to regional and international efforts to reduce the expansion of the phenomenon and the methods adopted to limit the flow of illegal immigrants in light of the new Coronavirus epidemic crisis.

Keywords: *illegal immigration, repercussions of migration, transit country, host country, Covid-19.-*

[1] المؤلف المرسل: د. زوزو زوليخة ـــــــــــــــ *Email: Nouarazouzou@gmail.com*

مقدمة:

الهجرة غير شرعية ظاهرة منتشرة بشكل كبير في دول شمال افريقيا -الجزائر وتونس والمغرب وليبيا- الى القارة الاوروبية رغم اغلاق هذه الاخيرة موانئها في ظل انتشار وباء كوفيد -19- المستجد الذي ظهر في الصين وانتشر في غضون شهور لمعظم دول العالم لاسيما في دول جنوب شرقي اسيا، وأضحت الهجرة من المواضيع التي تشغل الراي العام في الوقت الراهن وهذا راجع لاستفحال الظاهرة وانتشارها اكثر واكثر؛ حيث يلجا العديد من الشباب من كلا الجنسين الى فكرة الهجرة من مختلف الدول الافريقية باللجوء الى المغادرة بطرق غير مشروعة وهذا باستعمال القوارب المكتظة بالآلاف من المهاجرين عن طريق البحر.

وقد شكلت هذه الظاهرة انعكاسات واثارا سلبية سواء للدول التي يخرج منها المهاجرين او تلك المستقبلة لهم، ما دعا هذه الاخيرة الى بحث الحلول للحد من الظاهرة، اذ نلمس موقف الدول المسقبلة -الاوروبية- التي باتت مركزا للوباء العالمي، الى اسلوب تضييق وغلق تام لاجراءات الدخول اليها كأسلوب للحد من هذه الظاهرة، جاء في مقدمة هذه الدول ايطاليا باعلان منع الدخول اليها والخروج منها الا بتصاريح خاصة، وفرنسا التي سعت الى تغيير قوانينها المتعلقة بالهجرة واعتبارها لفكرة الهجرة احد الاعباء التي تواجهها فرنسا، وهو ذات التوجه الذي اتخذته اسبانيا باتخاذ تدابير ووضع قوانين الحد من دخول المهاجرين واضطرارهم للمغادرة، وهو ما ادى االى انخفاض واضح في اعداد المهاجرين مقارنة بالسنوات الماضية نتيجة اغلاق الموانئ والحدود بسبب وباء كوفيد -19-.

ومايبرز اهمية البحث انه ينبغي إعادة تقييم الظاهرة التي أصبحت تثير قلق الدول بشكل اكبر من السابق، وما يدفع الاشخاص للهجرة على مستوى العوامل الدافعة لذلك في البلاد المصدرة لها، (كالحروب والنزاعات، والمجاعات، والاوبئة، وتدني المستوى المعيشي لذوي الدخل المحدود... وغير ذلك)، وعلى مستوى عوامل الجذب الموجودة في الدول المستقبلة للمهاجرين (كالامكانات الاقتصادية، والحرية الدينية والسياسية، والسعي لفرص العمل... وغيرها).

ومايزيد من اهمية البحث في هذا الموضوع الى انه يتم التركيز على الأسباب الدافعة للهجرة غير الشرعية، فهناك من يرى انها نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية؛ حيث يكون هناك مناطق طرد وجذب، ولكل منهما عوامله المؤدية إلى تكونه، وتمثل منطقة الطرد في مجال الدراسة الدول الأفريقية التي هي دول المصدر، وتمثل منطقة الجذب القارة الأوروبية خاصة جنوبها فرنسا – أسبانيا – إيطاليا، وهي دول الاستقبال، وتكون دول أخرى سميت بدول العبور مثل ليبيا والجزائر.

وفي هذا السياق كشفت العديد من الدراسات الحديثة التي أجريت في العديد من الدول بما فيها الجزائر وباقي الدول عن ميل واضح نحو السعي لمواجهة هذه الظاهرة واتخاذ اجراءات وتدابير وقائية لمنع التنقل خوفا من تفشي وباء كورونا المستجد، وعلى الرغم من انتشاره لازالت الدول الاوروبية تواجه ظاهرة الهجرة غير الشرعية، ما يشكل تحديا باتت القارة الاوروبية تسعى لمواجهته بكل السبل، وهو ما يدفعنا لطرح الاشكالية التالية: ماهي انعكاسات وتداعيات الهجرة غير الشرعية من دول شمال افريقيا نحو أوروبا في ظل تفشي فيروس كورونا –كوفيد 19–؟

للإجابة على الاشكالية ارتايت تقسيم الموضوع الى مبحثين، الاول ندرس فيه واقع انتشار الهجرة غير الشرعية في ظل ازمة كوفيد 19، لنصل الى المبحث الثاني الذي نبرز فيه اهم تحديات وانعكاسات الهجرة غير الشرعية على الدول المستقبلة والسبل المتاحة لمواجهتها.

المبحث الاول: الهجرة غير الشرعية في ظل ازمة – كوفيد19–

ان ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي برزت منذ نهاية التسعينيات قد بدأت تشكل تهديداً خطيراً على دول المصدر، وعلى دول الاستقبال، وحتى دول العبور على حد السواء بشكل يؤثر وينعكس على سياسات هذه الدول نتيجة لفقدان القوة البشرية لبلدان المصدر بالهجرة، وحدوث عدم الاستقرار، وتوتر العلاقات السياسية بين دول العبور ودول المصدر ودول الاستقبال، لذا ندرس اهم الاسباب الداعية للهجرة(المطلب الاول)ثم التطرق للتحديات التي تواجه الدول في انتشار وباء كوفيد19(المطلب الثاني)، ثم لأثار الهجرة غير الشرعية في ازمة كوفيد 19(المطلب الثاني).

المطلب الأول: الاسباب الداعية لهجرة الافراد غير الشرعية

تواصلت موجات الهجرة غير الشرعية خلال فترات الحجر الصحي الشامل وحضر التجوال الذي فرضته الدول توقيا من انتشار وباء كوفيد 19 الذي صنفته منظمة الصحة العالمية وباءا عالميا[1]، وما زاد من تفاقمها الواقع المرير الذي تعانيه شعوب القارة من عدم استقرار اوضاعهم الاجتماعية، وعدم استتباب الأمن، ومعاناة الفقر في أغلب بلدان القارة الأفريقية، حيث يستخدم المهاجرون غير الشرعيين سواحل بلدان المغرب العربي –المغرب وتونس وليبيا والجزائر وموريتانيا– مناطق عبور إلى سواحل جنوب أوروبا[2]، وعليه نعالج ابرز الاسباب والدوافع في العناصر التالية:

الفرع الاول: اسباب اجتماعية

من ابرز اسباب هجرة الشباب الغير شرعية، أولها ازدياد أعداد الشباب في دول الافريقية عموما، وثانيها تناقص فرص العمل، وثالثها زيادة حدة الفوارق بين الدول الغنية

والدول الفقيرة وازدياد الوعي لهذه الفوارق، مع انتشار فكرة ان الهجرة الى الدول الاوروبية تفتح الافاق للشباب بحياة جديدة لامثيل لها في دولهم ليفاجئوا بالواقع المغاير لما كان سائدا من معتقدات ومفاهيم خاطئة.

اذ يبين الواقع أن البطالة تمس عددا كبيرا من السكان وخاصة منهم الشباب الحاصلين على مؤهلات جامعية، حيث يقدر المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي نسبة البطالة في المغرب على سبيل المثال بحوالي 12 ٪، وتبلغ 21 ٪ في المجال الحضري،[3]، وحسب اخر تقرير سداسي لسنة 2019 حول افاق الاقتصاد الاقليمي في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا في الجزائر تصل هذه النسبة إلى 12.5 ٪ في حين تصل الى 13.3 سنة 2020، وهذه التوقعات بناءا على جملة من المعطيات والقرارات الحكومية التي جاءت بتقليص نفقات التجهيز ب20.1٪ المدرجة في قانون المالية 2020[4]، اما تونس قدرت بـ 15 ٪ وهذا العدد في تزايد من سنة إلى أخرى، ولا شك أن هذا الضغط على سوق العمل يغذي النزوح إلى الهجرة خاصة في شكلها غير القانوني.

وتظهر انعكاسات البطالة في ظل انتشار الوباء الى زيادة حجم الفقر وعدم القدرة على سد حاجاتهم، حيث بلغت نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر في المغرب ما يقارب 14 ٪، وكشف تقرير منظمة التنسيق والتنمية الاقتصادية ($OCDE$) على أن نسبة البطالة في الجزائر مزالت مرتفعة، حيث قدرت سنة 2019 ب 11.04 ٪، وقدر عدد البطالين ب 1.449 مليون شخص مقابل 01.462 مليون عامل وحسب نفس التقرير، قدرت نسبة البطالة في المدن بحوالي 12.8 ٪، وبلغ 11.5 ٪ منها في المجال الحضري، وتمس البطالة 19.4 ٪ من النساء و09.01 ٪ من الرجال وهذه النسب في تزايد سنة بعد سنة[5].

ونلاحظ ان الهجرة إلى الدول المتقدمة من أجل العمل تعد عنصراً هاماً من عناصر التخفيف من حدة البطالة ومكافحة ظاهرة الفقر، وعند الحديث عن هجرة الشباب إلى الدول الأوروبية، نجد أننا نتعامل مع جانب هام من جوانب علاقاتنا مع أحد أهم شركائنا وهو الإتحاد الأوروبي ودوله الأعضاء التي يقيم بها الآلاف من أبنائنا[6].

نضيف ان اسباب انتشار الهجرة غير الشرعية في دول شمال افريقيا الى اوروبا تطرح لاسباب اخرى، وتختلف من دولة افريقية الى أخرى في الجزائر مثلا عرفت حركة الهجرة الى فرنسا ازديادا في السنوات الاخيرة بسبب عجز الكثيرين عن كسب الرزق في بلاده؛ ومن ثمة اصبحت كلمة الهجرة تعني الهروب من الجوع ضف الى ذلك تفضيل اصحاب المشروعات الكبرى استخدام العمال الاجانب ذوي الخبرة الفنية[7]، وللحد من ظاهرة الهجرة قامت الجزائر باصدار قانون يحدد دخول وإقامة الاجانب رقم 11/08[8]، والقانون رقم 01/09 المعدل والمتمم للأمر

155/66 المتضمن قانون العقوبات[9]، الذي يجرم فعل الهجرة غير الشرعية وفعل تهريب المهاجرين.

ثانيا – أسباب اقتصادية:

تعود الأسباب الاقتصادية الى تراجع اقتصاديات الدول الإفريقية شانها شان باقي الدول التي تضررت جراء انتشار وباء كوفيد 19، فعلى الرغم من امتلاكها لثروات طبيعية هائلة إلا ان الركود الصناعي لهذه الدول جعل أفرادها يعتمدون على البترول والفلاحة والزراعة كمورد أساسي بيد ان هذه الموارد عجزت بدورها على سد حاجات الأفراد والمواطنين نظراً لانتشار الوباء، حيث لجأت الدول الى اتخاذ اجراءات وقائية هامة تمثلت في الحجر الصحي والغلق التام لكل المحلات والاسواق وتوقف اغلب الانشطة التجارية، مما تولد عنه عجز معظم الاسر عن سد حاجاتهم وزيادة البطالة اللذين يعتبران سببين قويين للهجرة نحو الدول الأوروبية.

الفرع الثاني: دوافع الهجرة غير الشرعية

دوافع الهجرة كثيرة دعت الافراد للتفكير في ترك الموطن الاصلي والبحث عن البديل حتى في ظل تفشي الوباء ووصوله الى ذروته في الدول الاوروبية؛ اذ بقي حلم الوصول الى البر الاوروبي ومحاولات الهجرة مستمرة لحد الساعة.

وفيمايلي نوجز ابرز عوامل ودوافع الهجرة في العناصر التالية:

اولا – عوامل الطرد:

توجد عدة دوافع وعوامل أساسية تسمى عوامل الطرد والجذب تقف وراء ظاهرة الهجرة غير الشرعية بشكل كبير، حيث تشمل عوامل الطرد البطالة والتشغيل المنقوص والفقر في البلدان المرسلة، وكذلك نمو السكان وما يرافقه من زيادة القوة العاملة[10]، زيادة على ذلك الاثار التي خلفها انتشار وباء كوفيد 19 والذي زاد من فكرة الهجرة بدل الحد منها، اذ تعتبر دول المغرب الكبير ضمن الدول الاكثر اصابة بفيروس كورونا حسب اخر الاحصائيات، وعلى الرغم من القيود الامنية التي فرضتها تونس مثلا ونظيرتها في ايطاليا بسبب الفيروس، لم تردع المهاجرين من خوض مغامرة الهجرة غير نظامية نحو سواحل الجنوبية لاوروبا، اذ احبطت السلطات الامنية حسب ارقام رسمية اكثر من 58 عملية لاجتياز الحدود خلسة خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة، فيما ضبط اكثر من الف و300 شخص، فيما تمكن 368 مهاجر غير شرعي من الدخول الى الاراضي الايطالية[11].

وتفيد الارقام الاخيرة للوكالة الاوروبية لمراقبة الحدود فرونتكس ان 5225 جزائريا سلكوا طريق غرب البحر المتوسط و865 وسط البحر المتوسط خلال الثمانية اشهر الاولى لسنة

2020، وبحسب السلطات الاسبانية فان 800 جزائري وصلو الى السواحل الاسبانية خلال اخر اسبوع من شهر يوليو في مؤشر على وتيرة تزايد الهجرة غير الشرعية[12]، ليتصدر الجزائريون القائمة بحوالي 2000 مهاجر غير نظامي يليهم المغرب بحوالي 900 مهاجر فيما لا يتجاوز عدد التونسيون 240 مهاجرا[13].

وهنا ظهرت فئتين للهجرة غير الشرعية، الفئة الاولى يمثلها مهاجرون افارقة من جنوب الصحراء والذين يعانون من ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، اضيفت اليها الازمة الصحية التي افقدتهم مهنهم وقادتهم الى استخدام ما تبقى من مدخراتهم في الهجرة السرية، اما الفئة الثانية فهم من يمرون بوضعيات اجتماعية هشة وهو مايمنحهم استعدادا للمجازفة للهجرة في ظروف سلامة منعدمة[14].

ثانيا - عوامل الجذب:

عوامل الجذب هي المرتبطة بالمنطقة والمجتمع المهاجر إليه خاصة في بلدان ودول اوروبا، تكمن في سمة هذا العصر في توفير القدرة على الحركة وسهولة التواصل بين أي منطقة وأخرى في العالم، نتيجة للتطور الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات كذلك تشير عوامل الجذب إلى كل الظروف التي تجذب المهاجرين بحثاً عن فرص عمل أفضل، ومعيشة أرقى[15].

اضافة الى عوامل مساندة لاتساع نطاق ظاهرة الهجرة تشمل تطور الاتصالات والمواصلات التي أصبحت أكثر يسرا، فمن خلال الاتصالات الحديثة يستطيع المقيمون في الدول الفقيرة معرفة مستويات المعيشة في الدول المتقدمة هذا من جهة، أما وسائل المواصلات والتي أصبحت أرخص وأسهل فهي تساعد الأفراد علي الهجرة هذا من جانب اخر[16].

خاصة وان الدول المتطورة اقتصاديا تتوفر على مناصب عمل ونمو اقتصادي كبير يؤدي الى كثرة الطلب والإنتاج فهي تعرف ثورة اقتصادية ومايقابلها من ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع الدخل الفردي عكس الدول الطاردة والتي تشهد افتقار الى عملية التنمية وتخلف اقتصادي، فالبطالة وتردي مستوى المعيشي والفقر كلها عوامل مشجعة على الهجرة[17].

توافر فرص العمل في مجالات الصناعة والتجارة والخدمات هي السمة الغالبة قبل ازمة كورونا، حيث يزدهر الوضع الاقتصادي في أي بلد تتوفر فيه الموارد الطبيعية التي تساعد على نشؤ المصانع وتطورها، وفي مثل هذه البلدان يكون الطلب على الأيدي العاملة وذوي الاختصاصات في ازدياد مستمر، وتبدأ الهجرة عادة بالشباب ثم تتوسع على نطاق العائلات والأقارب[18]، كلها عوامل ودوافع تجذب المهاجرين لخوض هذه التجربة رغبة في تحسين اوضاعهم المعيشية التي عاشوها في اوطانهم الأصلية، الا ان هذه العوامل قد بدات في التراجع في الوضع الذي تعيشه الدول في ظل وباء كوفيد 19.

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه الدول في انتشار وباء كوفيد 19

ما يلفت الانتباه لهذه الظاهرة في الوضع الراهن الذي تعيشه كل دول شمال افريقيا وحتى الدول الاوروبية نتيجة تراجع اقتصادياتها جراء انتشار وباء كوفيد 19، ارتفاع أعداد المهاجرين غير الشرعيين بشكل ملفت، ما يهدد القارة الأفريقية والدول الاوروبية المستقبلة، وظهور نمط الهجرة غير الشرعية المعاصرة من هجرة فئة الذكور القادرين على العمل إلى هجرة فئة النساء والأطفال[19].

وفيما يلي نتطرق لابرز انعكاسات الهجرة غير الشرعية على اوروبا (الفرع الاول)، ولتداعياتها في افريقيا (الفرع الثاني).

الفرع الاول: انعكاسات الهجرة غير الشرعية على دول اوروبا وأزمة كوفيد 19

كشفت بيانات للجموع الزاحفة من دول شمال أفريقيا إلى دول أوروبا، العديد من الجثث تقذفها الأمواج إلى الشواطئ؛ اذ ظلت شواطئها تشهد طوال هذا العام بعضاً من المآسي الإنسانية المروعة فقد تسبب وباء كورونا في مشكلات اقتصادية خطيرة وبطالة بدول شمال إفريقيا، في الوقت الذي تعاني فيه دول أخرى، من بينها ليبيا وتداعيات الحرب، ما أدى إلى ارتفاع معدلات الهجرة غير الشرعية عبر البحر هذا العام، إلى دول من بينها إيطاليا ومالطا، وفقاً للأرقام الصادرة عن مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين[20].

الا انه ومع انتشار فيروس كورونا اضحى عدد وسائل الهجرة اقل مما كان عليه قبل شهرين، ومن ثم فان الاثار الاقتصادية وعدم المساواة ستزيد جميعها الياس لدى المهاجرين، وازاء هذا الوضع سيظطرون للحركة مستخدمين المهربين والمتاجرين وغيرهم من الجماعات غير المشروعة بشكل متزايد وستزداد الهجرة داخل وبين الدول النامية دون توثيق او فحوصات صحية، ما سيعرضهم لخطر شديد[21].

وفي ظل انتشار وباء كورونا المستجد نشر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية مقالا للكاتب ايرول ييبوك بعنوان خمسة طرق سيغير بها فيروس كوفيد 19 الهجرة العالمية، يؤكد من خلاله انه من المحتمل ان تكون للاضطرابات المرتبطة بفيروي كورونا تاثيرات طويلة المدى على ملامح الهجرة العالمية، وهي توقف اليد العاملة المهاجرة، زيادة التفاوت العالمي، اغلاق الباب امام المهاجرين نهائيا، اضافة لمعاناة النازحين قسرا والمهاجرين غير الشرعيين[22]، وفي هذا الصدد صرح المندوب الايطالي ازاء غياب التضامن الاوروبي مع كارثة ايطاليا وهي في قلب القارة الى ان ازمة فيروس كورونا شبيهة بأزمة اللاجئين، وحسب قوله فان الدول التي لم تتأثر على الفور ليست في الغالب على استعداد لتقديم المساعدة، وانه يشعر ان فيروس كورونا يمثل تهديدا عالميا واوروبيا يحتاج الى استجابة اوروبية[23].

وازاء هذا الوضع يخشى مؤرخو الاقتصاد الاوروبيون من شبح ان تتكرر مأساة الموت الاسود التي اجتاحت القارة منتصف القرن الرابع عشر وأدت الى وفاة نسبة الثلث من مجموع السكان، اذ يتسبب هذا الانخفاض في التركيبة السكانية في ندرة العمالة، زيادة الاجور، والطعن في النظام الاقطاعي في اوروبا، والان يعود هذا الكابوس في اذهان الاوروبيين مع فيروس كورونا لانه يشمل معدلات عظيمة وقد يؤدي الى تداعيات طويلة الامد ليس على النمو الاقتصادي الاوروبي فحسب بل وعلى الاقتصاد العالمي[24].

لذا فان للهجرة من افريقيا نحو اوروبا لها أثر حاسم على ديناميكيات تفشي الامراض والانتشار المكاني للامراض المعدية اقليميا، وعلى العكس من ذلك يمكن ان يؤدي تفشي الامراض ايضا للهجرة؛ فعلى سبيل المثال تفشي فيروس ابولا في غرب افريقيا في ديسمبر 2013، فقد ارتبط التوسع الاقليمي لتفشي المرض في السنغال ونيجيريا بالسفر الى المناطق المتضررة حسب تقرير مجلس الامن سنة 2014 وعجل الخوف من انتشار الابولا السريع في جميع انحاء القارة والعالم من مراقبة الحدود على الحركة من والى البلدان المتضررة[25].

الفرع الثاني: تداعيات الهجرة في افريقيا في مواجهة وباء كورونا

من التحديات التي تواجه دول افريقيا في مواجهة جائحة كورونا هي توقع دفع حوالي 32 مليون شخص للفقر نتيجة عدم وجود مداخيل ثابتة للفئات الاجتماعية الهشة وذوي الدخل المحدود، اضافة لتوقف القطاع السياحي ففي غضون اشهر قليلة اثرت جائحة كورونا على اقتصاديات المنطقة بطريقة مباشرة، فقد تلقى قطاع السياحة الضربة الاولى مع الغاء الكثير من الرحلات والخدمات السياحية[26].

ضف لذلك تراجع العائدات النفطية المعول عليها، وهذا في مقابل ضرورة توفير ما يقارب 100 مليون دينار لقطاع الصحة والرعاية والعمل على محاولة تحفيز الاقتصاد كلها تحديات تواجه القارة الافريقية في ظل ازمة كوفيد 19.

ويشير تقرير تقييم سياسة الهجرة في افريقيا الى العديد من الاسباب والعوامل وكنا اشرنا لها سابقا، ففي شمال افريقيا على سبيل المثال خلال السنوات السابقة سافر العديد من المهاجرين غير النظاميين من افريقيا عبر تونس والجزائر للوصول الى اوروبا[27]، لكن وفي ظل انتشار وباء كوفيد 19 يشكل استمرار الهجرة غير النظامية في مختلف الدول الاعضاء في الاتحاد الافريقي مصدر قلق للحكومات الافريقية، خاصة ان الظاهرة لم تتوقف كليا ولم يثن الوضع من تصاعد أعداد المهاجرين، وما زاد تفاقم الظاهرة هو انشغال قوات الامن في مجابهة فيرورس كورونا المستجد بعد ان اوكلت اليهم مهام اضافية، وهو ما خلق مناخا مناسبا للمهاجرين

ولمنظمي عمليات الهجرة للعبور نحو اوروبا مستفيدين من الفراغات الأمنية سواء في تونس او في ايطاليا[28].

المبحث الثاني: اثار الهجرة غير الشرعية جراء فيروس كورونا المستجد

الهجرة غير الشرعية بهذه الاحصائيات لها العديد من الانعكاسات والآثار السلبية، من بينها اثار على الصعيدين الصحي والامني من جراء نزوح المهاجرين، ما يهدد سيادة الدول المستقبلة ووجودها الفعلي، فللهجرة آثاراً صحية خطيرة خاصة لجهة الدول المستقبلة أكثر من دول الارسال وفي هذا الشان صرح مدير وحدة الامراض المعدية في معهد البحوث والتطوير في فرنسا ان معظم الاصابات في افريقيا مصدرها اوروبا خاصة وان الحالات المشخصة اتت من اوروبا[29]، وامام هذا الوضع يواجه ملايين اللاجئين والنازحين داخليا والذين يعيشون في مخيمات او مساكن دون الحد الادنى من شروط النظافة والصحة تكون التكلفة البشرية ساحقة اذا وصل الوباء اليهم ما لم يتم توفير لقاح فعال ضد وباء كوفيد 19، ويمكن ان تصبح العديد من المناطق في الشرق الاوسط وشمال افريقيا بؤر انتشار للفيروس الذي يسبب عزلة للمناطق المصابة عن بقية العالم لفترة طويلة من الزمن[30].

ولا يفوتنا أن نشير أيضا للآثار الاجتماعية الخطيرة المتنوعة المترتبة على هذه الظاهرة، ومن بينها حالة إدماج المهاجرين ومدى الصعوبات التي تواجههم والتكيف مع مجتمعهم الجديد في الدول المستقبلة، ويزداد الأمر تعقيدا في معظم الصناعات حيث تتركز عمليات تسريح بعض العاملين نتيجة انتشار الوباء على العمال المهاجرين لان كثيرا منهم اما يحمل تأشيرة مؤقتة او انه دخل بطريقة غير قانونية، وهؤولاء سيواجهون خيارات صعبة عند الاستغناء عنهم[31]؛ حيث لا يحمل المهاجر السند القانوني لوجوده في الدولة التي هاجر إليها ما يقودهم الى محاولة العودة الى بلدانهم الاصلية التي تواجه صعوبات اقتصادية اكبر.

المطلب الأول: ابعاد الهجرة غير الشرعية في ازمة كوفيد 19

تنبع خطورة هذه الظاهرة من كونها قضية ذات ابعاد متعددة وأثارها متصلة مباشرة ليس فقط على الامن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بل والصحي ايضا للدول المستقبلة او المصدرة لها، ولها كذلك اثار على دول العبور، وهو ما نتطرق اليه بالدراسة في العناصر التالية:

الفرع الاول: ابعاد جائحة كورونا على دول العبور

دول العبور وهي الدول التي تقع بحكم موقعها الجغرافي في الطرق الرئيسية للهجرة العالمية، منها الجزائر بحكم موقعها الاستراتيجي عبر الحدود الساحلية الشمالية الشرقية من شواطي عنابة والقالة الى شواطئ ايطاليا وكذا الشواطئ الفرنسية (مارسيليا) ودولة المغرب، وخاصة على المناطق الساحلية بحكم ضيق المسافة (مضيق جبل طارق)، للوصول الى شواطئ

اسبانيا، فهي شاسعة الحدود مع النيجر 1300 كلم، مالي 1280كلم، ليبيا 1250 كلم، المغرب 1523 كلم، تونس 955 كلم، الصحراء الغربية 143 كلم، موريطانيا 520 كلم، وبهذا اصبحت منطقة عبور ووجهة لأفواج من الافارقة واصبحت تحتضن افواجا من المهاجرين يتسللون عبر الحدود مستعملين طرق ووسائل متعددة؛ حيث وجدت هذه الافواج مجالا لتحركها ومرورها بولايات الجنوب على الرغم من اغلاق كل الحدود ما يشكل خطرا محدقا على الأمن بصفة عامة[32]، ما يتطلب ضرورة متابعتهم والابقاء عليهم داخل اماكن حجر خاص بهم خوفا من خطر اصابتهم بالوباء فهم يعبرون الحدود الدولية دون توثيق او فحوصات صحية وهو ما يعرضهم لخطر الاصابة[33]، وبذلك تشكل منطقة شمال افريقيا من اقصى شرقها الى اقصى غربها اداة ربط بين اوروبا وإفريقيا[34].

الفرع الثاني: ابعاد الهجرة غير الشرعية على الصعيد الامني

ان تفاقم الهجرة غير الشرعية بهذه الوتيرة في الجزائر والتنقل عبرها خاصة في ظل ازمة كوفيد19، له ابعاد خطيرة على امنها واستقرارها، وذلك بسبب ارتباط الظاهرة بعدة تهديدات أخرى ليست اقل خطورة من الوباء، ابرزها اولئك المهاجرين الضعفاء الذين يعيشون غالبا في اماكن مكتظة وفي مناطق حضرية مزدحمة مع ضعف وصول الرعاية الصحية لهم سيكونون في خطر متزايد، اذ تحدث معظم حالات انتقال العدوى في غياب الاحتياطات الخاصة بالوقاية من العدوى ومكافحتها قبل الاشتباه في حالة محددة او التأكد منها، لذا فان التطبيق الروتيني للتدابير الرامية للوقاية من انتشار الفيروس يعد ضروريا من أجل الحد من انتشاره[35].

هذا وتحولت دور العبور كالجزائر وتونس وليبيا بحكم الواقع الى مناطق استقرار المهاجرين السريين العابرين في الأصل، وبالتالي أصبحت دولا مستقبلة للهجرة الامر الذي ينجم عنه الكثير من الانعكاسات السلبية وهذا في غياب رؤيا وإستراتيجية محكمة محلية كانت او اقليمية لتطويق الظاهرة واحتوائها[36].

المطلب الثاني: مظاهر الحد من ظاهرة الهجرة للوقاية من فيروس كورونا

من ابرز الصعوبات التي تواجهها الدول ازاء ملف الهجرة غير الشرعية هو انعدام التعاون الدولي على الرغم من اهميته بالنظر للآثار السلبية المترتبة عن الهجرة السرية، إلا أنه بات يلقى الاهتمام لدى كل الدول الافريقية والأوروبية تفاديا لما يترتب عليها من اضرار، وتبعا لذلك فإن التعاطي مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية عموما ومحاولة التغلب عليها من خلال اتباع المعالجات الأمنية الردعية بات امرا حتميا[37].

الفرع الاول: مساعي الاتحاد الافريقي في مواجهة الهجرة غير الشرعية

اعتمدت مفوضية الاتحاد الافريقي ما يسمى باطار سياسة الهجرة في افريقيا، حيث يبرز الاطار قضايا واولويات شاملة ذات صلة يمكن للدول الاعضاء ان تركز عليها وهي:

- التمسك بالمبادئ الانسانية للهجرة.
- ادارة الحدود والامن.
- تعزيز البحوث ذات الصلة بالسياسات والقدرات في مجال الهجرة

واستطاع الاتحاد الإفريقي التحرك من خلال المركز الإفريقي لمكافحة الأمراض والوقاية منها رغم أنه لم يبدأ إلا منذ ثلاث سنوات فقط، عندما تم الكشف عن فيروس كورونا المستجد لأول مرة في الصين في ديسمبر 2019، بدأ المركز العمل بشكل وثيق مع منظمة الصحة العالمية ومراكزها دون الإقليمية من أجل دعم الدول الأعضاء في الاتحاد الإفريقي في استجاباتها للانتشار المحتمل للفيروس، ومنذ ذلك الحين قام الاتحاد الإفريقي بأداء خمس وظائف تمثلت في التنسيق ووضع المعايير، والخبرة، والدعم الفني، ووضع جدول الأعمال العام، بالإضافة إلى تعبئة الموارد[38].

الفرع الثاني: جهود دول المغرب العربي في مواجهة الهجرة غير الشرعية

وما يسجل من جهود عربية في محاربة الهجرة غير الشرعية نذكر اجتماع وزراء داخلية دول اتحاد المغرب العربي في 21 أفريل 2013م بالرباط بمشاركة كافة الوزراء وبحضور الأمين العام للاتحاد المغربي وتناول العديد من المحاور، نذكر منها[39]:

- مجابهة شبكات الاتجار بالبشر والحد من التدفقات غير الشرعية للمهاجرين دون المساس بكرامتهم في إطار مغاربي تنموي ومتوازي.
- تكثيف الجهود في إطار المسؤولية المشتركة للحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية وجرائم الاتجار بالبشر وذلك بالتعاون مع الشركاء الأوروبيين والمنظمات الدولية المعنية من أجل ضمان معالجة أفضل لتدفق المهاجرين غير الشرعيين إلى دول الاتحاد المغربي التي تحولت إلى بلدان استقرار مع ما يترتب عن ذلك من أعباء مادية ومعنوية بالنسبة لها وما يحمله من مخاطر ترتبط بانتشار الجريمة المنظمة.

الفرع الثالث: جهود الاتحاد الاوروبي لوقف موجات الهجرة من افريقيا

تبلورت الجهود الاوروبية في وقف موجات الهجرة من خلال تنظيم ووقف الهجرة؛ حيث وضعت الدول الاوروبية تعهدات اهمها[40]:

- مكافحة الهجرة غير الشرعية من خلال ضمان عودتهم الى وطنهم الاصلي او بلد العبور، او بلد الاقامة غير الشرعية.

- تعزيز فعالية الرقابة على الحدود.

هذا وقدعرفت الدول الاوروبية ان مشكلة المهاجرين أصبحت مشكلة أمنية بجانب كونها مشكلة اجتماعية واقتصادية، فشرعت في تشديد الاجراءات الأمنية على المستوى الداخلي، وذلك من خلال تشديد مراقبة الحدود، وعلى المستوى الخارجي من خلال عقد اتفاقيات مع دول المنشأ والعبور لمنع تدفق المهاجرين اليها[41].

خاتمة:

ابرز واقع انتشار فيروس كورونا المستجد صعوبة السيطرة على حركة الحدود وبين القارات واصبحت الهجرة غير الشرعية ظاهرة تؤرق الكثير من دول العالم، نظرا لهشاشة الحياة البشرية والوضع الصحي المتازم الذي لم يشكل عائقا بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين، ما زاد من تنامي الرغبة لدى الشباب في الهجرة على الرغم من تحول الدول الاوروبية الى بؤر وباء وارتفاع الاصابات في ظل هذه الازمة، والظروف الاقتصادية الصعبة والتوقعات بفقدان مناصب عملهم في مجالات الفلاحة والصناعة والتجارة هذا من جهة، ومن جهة اخرى عادة ما يستفيد المهاجرون من الفراغات التي تحدثها الازمات لتحقيق الرغبة في الهجرة مستغلين فترة انشغال الجميع شعبا وحكومة بالازمة لتحقيق اغراضهم.

ورغم المساعي والجهود الدولية للحد من الهجرة في الوقت الحالي واتخاذ جملة من التدابير والاجراءات الأمنية على مستوى الحدود، مازالت فكرة الهجرة منتشرة على نطاق واسع، هذا وتوصلنا من خلال معالجة موضوع الدراسة الى انه وازاء هذا الوضع تسعى الدول الاوروبية ودول العبور لمواجهة الهجرة غير الشرعية تفاديا لأزمات اخرى ومضاعفات تعود عليها جراء انتشار فيروس كورونا-كوفيد19- عن طريق اغلاق حدودها والموانئ والملاحة كحل مؤقت لهذه الكارثة لحين توفر لقاح لعلاج الوباء.

وفي الختام نؤكد على ضرورة تكاتف الجهود لمواجهة الظاهرة للوقاية من انتشار فيروس كورونا المستجد، وهذا لا يتحقق الا من خلال:

- تشديد الجانب الامني على الحدود البرية والبحرية لمراقبة حركة الهجرة غير الشرعية، والتركيز على معرفة هوية الاشخاص المهاجرين عبر مراقبة مدى صحة وثائقهم وسلامتهم الجسدية.
- الاهتمام بالجانب الاجتماعي والقضاء على مظاهر الفقر والحرمان خاصة بالنسبة للأشخاص عديمي الدخل خاصة في ازمة كوفيد 19.
- تنسيق الجهود الدولية لمكافحة الهجرة غير شرعية لعرقلة انتشار الوباء واضعافه للتقليل من انعكاساته على كل الدول.

- **فتح المجال أمام فئة الشباب للعمل وإتاحة الفرصة لتحقيق حياة كريمة ومنحهم الفرص لاثبات كفاءاتهم ودعمهم اكثر عبر مساعدات مادية تمكنهم من العيش، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من ارتباط الفرد بوطنه بدل فكرة الهجرة.**

الهوامش:

[1] – الوباء العالمي (الجائحة) كوفيد 19، يستخدم وصف الوباء العالمي او الجائحة (*pandemic*)، لوصف الامراض المعدية عندما نرى تفشيا واضحا لها وانتقالا من شخص الى اخر في عدد من البلدان في العالم نفسهن ويرجح حدوث الوباء العالمي اذا كان الفيروس جديدا ولم تسبق الاصابة به ما يتسبب في تفشي عدواه بين الناس سريعا فضلا عن امكانية انتقاله من شخص الى اخر بطريقة مؤثرة ومستمرة، انظر فيروس كورونا لماذا صنفته منظمة الصحة العالمية وباء عالميا، موقع *Bbc.com*، تاريخ الاطلاع 2020/15/12.

[2] – عادل ابو بكر الطلحي، مرجع سابق، ص 01.

[3] – بوكرمة اغلال فاطة الزهرة، اسباب الهجرة غير الشرعية للكفاءات والادمغة الجزائرية من وجهة نظر الطلبة الجزائريين، دراسة ميدانية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد التاسع، ديسمبر 2012، ص 103.

[4] – عمار لشموت، الافامي يتوقع ارتفاع نسب البطالة في الجزائر سنة 2020، مقال منشور على الموقع الالكتروني *https://ultraalgeria.ultrasawt.com/*. تاريخ الاطلاع عليه 2020/11/05.

[5] – بوكرمة اغلال فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 103.

[6] – سامي محمود، اسامة بدير، اوروبا والهجرة غير المنظمة في مصر بين المسؤولية واواجب، مركز الارض لحقوق الانسان، سلسلة حقوق اقتصادية واجتماعية، العدد رقم68، القاهرة، يونيو، 2009، ص 13.

[7] – ياسين حمودة، مرجع سابق، ص 57.

[8] –القانون 11/08 المؤرخ في 25 افريل 2008 المتعلق بشروط دخول الاجانب الى الجزائر واقامتهم بها وتنقلهم.

[9] – القانون رقم 09-01 مؤرخ 25 فبراير2009 ، يعدل ويتمم الأمر رقم 156-66 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق ل 8 يونيو 1966 المتضمن قانون العقوبات المتعلق بعقوبة العمل للنفع العام .

[10] – سامي محمود، اسامة بدير،مرجع سابق، ص 12.

[11] – امال الهلالي، متحدية وباء كورونا قوارب الموت تتسلل من تونس الي ايطاليا، 02 يونيو2020، مقال منشور الموقع الالكتروني *www.trtarabi.com*، تاريخ الاطلاع 2020/06/28.

[12] – تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية نحو اسبانيا تلقي بظلالها على زيارة شانسيزالى الجزائر، مقال منشور على الموقع الالكتروني *https://alarab.co.uk/*، تاريخ النشر 2020/10/08، تاريخ الاطلاع 2020/11/05.

[13] – ياسين بودهان، في عز كورونا قوافل الحراقة الجزائريين تستفز اسبانيا، مقال منشور على الموقع الالكتروني *https://arb.majalla.com/*، تاريخ النشر 2020/10/06، تاريخ الاطلاع 2020/11/05.

[14] –الهجرة في زمن الكورونا، تونسيون يتحدون الوباء ويركبون قوارب الموت نحو ايطاليا، مقال منشور على موقع *Arabicsputniknews.com* تاريخ الاطلاع 2020/05/14.

[15] –عادل ابو بكر طلحي، مرجع سابق، ص 14.

[16] –المرجع نفسه، ص 12.

[17] –محسن الدين بن شرقي، مرجع سابق، ص 04.

[18] –عادل ابو بكر طلحي، مرجع سابق، ص 15.

[19] – المرجع نفسه، ص ص 02، 03.

[20] – عوض خيري، ازمة المهاجرين غير الشرعيين تتفاقم مع انتشار كورونا، مقال منشور على الموقع الالكتروني *https://www.emaratalyoum.com/*، تاريخ النشر 2020/09/06، تاريخ الاطلاع 2020/11/05.

[21] – باسم راشد، اتجاهات تاثير وباء كورونا على الهجرة العالمية، مقال منشور على موقع المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، تاريخ النشر 2020/04/07، الموقع *www.futureuae.com*.

[22] – المرجع نفسه.

[23] – محمد الشرقاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتاكل النيوليبيرالية، ج 1، مارس 2020، ص ص 2، 3.

[24] – المرجع نفسه، ص 03.

[25] – اتجاهات ودوافع الهجرة في الجنوب الافريقي، المركز الاوروبي لدراسات مكافحة الارهاب والاستخبارات *ECCI*، مقال منشور على الموقع الالكتروني *www.europarabct.com*، تاريخ الاطلاع 2020/06/22.

[26] –هيثم عميرة فرناندث، فيروس كورونا في الدول العربية، عاصفة عابرة، فرصة للتغيير ام كارثة اقليمية؟، قسم المتوسط والعالم العربي في معهد الكانو الملكي للدراسات الدولية والاستراتيجية في مدريد، افريل2020، ص 02.

[27] – اتجاهات ودوافع الهجرة في الجنوب الافريقي، مرجع سابق.

[28] –الهجرة في زمن الكورونا، تونسيون يتحدون الوباء ويركبون قوارب الموت نحو ايطاليا، مقال منشور على موقع *Arabicsputniknews.com* تاريخ الاطلاع 2020/05/14.

[29] – طاهر هاني، افريقيا تحت تهديد وباء فيروس كورونا، فرانس 24، مقال منشور موقع الالكتروني *France24.com*، تاريخ الاطلاع 2020/06/27.

[30] – هيثم عميرة فرناندث، مرجع سابق، ص 02.

[31] – باسم راشد، مرجع سابق.

[32] – بخوش صبيحة، مرجع سابق، ص 295.

[33] – باسم راشد، مرجع سابق.

[34] – المرجع نفسه، ص 291.

[35] – الوقاية من العدوى ومكافحتها اثناء الرعاية الصحية لحالات الاصابة المحتملة او المؤكدة بعدوى فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الاوسط التنفسية، منظمة الصحة العالمية، يونيو 2015، ص01.

[36] – بخوش صبيحة،مرجع سابق، ص 291.

[37] – عادل ابو بكر طلحي، مرجع سابق، ص 24.

[38] – حمدي عبد الرحمن، ماذا تعني امننة كورونا للدول الافريقية، المستقبل للابحاث والدراسات المتقدمة، تاريخ النشر 13 افريل 2020، الساعة 20:30، الموقع *https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/5510*

[39] – احمد طعيبة، مليكة حجاج، الهجرة غير الشرعية بين استراتيجيات المواجهة واليات الحماية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 15، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، جوان 2016، ص33،34.

[40] – اتجاهات ودوافع الهجرة في الجنوب الافريقي، مرجع سابق.

[41] –المرجع نفسه.